حِكَايَةُ الْهِمِّ
مَيْنُوشْ الْمَدْغَرِي

تأليف : صَابِر العَلَوِي الوَاحِدِي



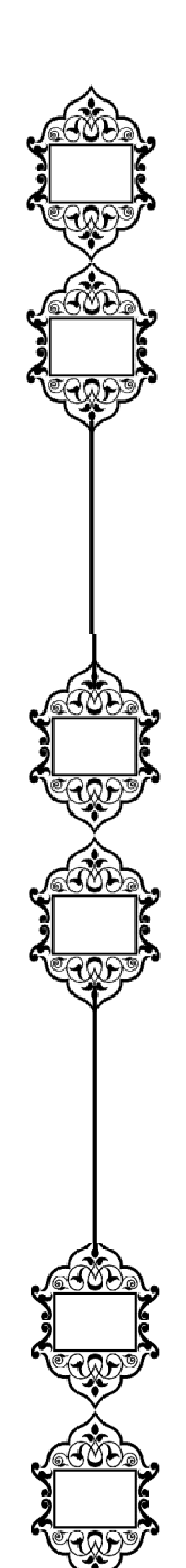
حِكَايَةُ الْهِرِّ

مَيْنُوش

المَدْغَرِيّ

تأليف:

صَابِر العَلَوِيّ الوَاحِدِيّ



غايات الحكاية
نذكر منها : 1– تربيةِ الطفل على الرفقِ بالحيوانِ والإحسانِ إليه . 2– تحبيب الشعر إليه من خلال إيراد بعض الأشعار في الحكاية . 3– اكتسابه لكلمات جديدة تم شرحها في الحاشية .

الكتاب: حكاية الهر مينوش المدغري

المؤلف: صابِر العلويّ الواحديّ

البريد الشبكي للكاتب: ouahidisaber@gmail.com

الإيداع القانوني: 2019MO1674

ردمك: 978-9920-37-349-4

الطبعة: **الأولى** 1440 هـ / 2019 م

مصمم الغلاف: **محمد من لا يخاف**

رقم هاتف مصمم الغلاف : 07 07 60 07 70

بسم الله الرحمن الرحيم

كَانَ لَدَيْنَا هِـــرٌّ جَمِيـلٌ ، يُحِبُّـهُ أَهْـلُ بَيْتِـي وَيُحْـسِنُونَ إِلَيهِ أُلَاعِبُـهُ ، وَأَجُـرُّلَـهُ خَيْطـاً ، فَيَتْبَعُـهُ ويَـجْــرِي وَرَاءَهُ وَيَــثِـبُ[1] عَلَيْـهِ ، اِخْتَـارَتْ لَـهُ أخْتِـي اِسْمَ : **مَيْنُـوش** ، أَهْدَتْـهُ لَـنَـا جَدَّتِـي – حَفِظَـهَـا اللهُ – لَـمَّـا زُرْنَـاهَـا فِـي الْبَـادِيَـةِ ، فَسُـرِرْنَـا بِـالْـهَـدِيَّـةِ وَكَـانَ يَـوْمَـهَـا هِـرًّا صَغِـيـراً، قَـدْ كَـسَـاهُ بَـيَـاضٌ كَـالثَّـلْـجِ ، وَسَـوَادٌ كَاللَّـيْـلِ ، وَأَخَــذْنَــاهُ مَعَـنَـا إِلَى بَيْتِـنَـا ، وَأَحْبَبْنَاهُ وَأَلِفَنَا ، فَصَـارَ كَالْـوَاحِدِ مِـنَّـا ، وَكَـانَ حِـينَـهَـا يَـفِـرُّ فَيَخْتَبِـئُ تَحْـتَ كُـرْسِـيٍّ ، أَوْ أَرِيـكَـةٍ[2] ، وَكَـبُـرَ شَيْـئـاً فَشَيْئاً .



(1) : يَثِبُ : يَقْفِزُ.

(2) الأريكةُ : مقعدٌ مُزيّنٌ مُريحٌ ، الجَمعُ : أرائِك .

وَكَانَ أَبِي – رَحِمَهُ اللهُ – قَدْ صَنَعَ لَهُ مَنْفَذاً صَغِيراً فِي شُبَّاكِ النَّافِذَةِ يَنْفُذُ عَبْرَهُ إِلَى الدَّاخِلِ كُلَّمَا شَاءَ . فَإِنْ كَانَ زُجَاجُ النَّافِذَةِ مُغْلَقاً، رَأَيْتُهُ وَأَسْرَعْتُ إِلَيْهِ وَفَتَحْتُهُ، وَتَارَةً يَمُوءُ [1] فَنَسْمَعُهُ وَنُدْخِلُهُ .



وَالْعَجِيبُ أَنَّ هَذَا الْمَنْفَذَ كَانَ يُشْبِهُ فِي شَكْلِهِ رَأْسَ الْهِرّ، لَهُ زَوَايَا تُشْبِهُ أُذُنَيِ الْهِرّ، لِأَنَّ أَبِي – رَحِمَهُ اللهُ – كَانَ أَوْصَى صَدِيقَهُ الْحَدَّادَ بِأَنْ يَشُقَّ لَهُ ذَلِكَ الْمَنْفَذَ لِأَجْلِ الْهِرّ مَبْنُوش، فَكُلَّمَا وَجَدَ بَابَ الْبَيْتِ مُغْلَقاً قَفَزَ إِلَى النَّافِذَةِ ، وَدَخَلَ عَلَيْنَا كَدُخُولِ الْأَخِ عَلَى إِخْوَتِهِ ، وَرُبَّمَا شَعَرَ الْهِرُّ مَبْنُوش بِالسَّعَادَةِ عِنْدَمَا وَجَدَ مَنْفَذاً يَعْبُرُ مِنْهُ إِلَى الدَّاخِلِ ، كَأَنَّ بَيْتَنَا صَارَ بَيْتَهُ أَيْضاً .



(1) يَمُوءُ : أي يصيحُ .



وَفِي لَيْلَةٍ بَارِدَةٍ مِنْ لَيَالِي فَصْلِ الشِّتَاءِ ، قَفَزَ إِلَى النَّافذةِ مُرِيداً الدُّخُولَ إِلَى الْبَيْتِ ، لِأَنَّهُ شَعَرَ بِالْبَرْدِ الشَّدِيدِ ، وَكَانَ الزُّجَاجُ مُغْلَقاً ، فَأَخَذَ يَضْرِبُ زُجَاجَ النَّافِذَةِ بِرَأْسِهِ فَسَمِعْتُهُ وَأَدْخَلْتُهُ فَوَجَدْتُهُ مُبَلَّلاً بِالْمَطَرِ ،وَهَكَذَا أَحْيَاناً. كَانَ يَمْكُثُ فِي الْخَارِجِ حَتَّى يَهُمَّ بِالدُّخُولِ إِلَى الْبَيْتِ ، وَلَا أُنْكِرُ ذَلِكَ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ هِرٌّ ، وَتِلْكَ عَادَتُهُ .

وَفِي لَيَالِي الشِّتَاءِ الْبَارِدَةِ، كَانَ يَنَامُ إِلَى جَانِبِي أَحْيَاناً ، فَأُحِسُّ بِثِقْلِهِ عَلَى قَدَمِي أَوْ سَاقِي ، وَتَرَاهُ قَدْ قَوَّسَ نفسَهُ كَالْهِلَالِ وَنَامَ نَوْمَةً هَنِيئَةً ، وَمَرَّةً تَجِدُهُ وَقَدْ أَدْخَلَ رَأْسَهُ يَبْحَثُ تَحْتَ الْفِرَاشِ عَنْ مَكَانٍ يَنَامُ فِيهِ، وَلِيُدْفِئَ جِسْمَهُ مِنَ الْبَرْدِ ، وَقَدْ عَاشَرْتُهُ وَعَرَفْتُهُ ، وَكَانَ جَمِيعُ مَنْ فِي الْبَيْتِ يُحِبُّهُ .

وَكَانَ مَبْنُوش لَا يُؤْذِي مَنْ يَلْعَبُ مَعَهُ، وَإِنْ دَاعَبَهُ أَحَدُنَا فَآذَاهُ مُخْطِئاً ، فَإِنَّهُ لَا يَرُدُّ الْإِسَاءَةَ انْتِقَاماً، وَصَبْرُهُ عَلَى الْأَذَى كَانَ دَلِيلاً عَلَى حُبِّهِ لَنَا .

حَتَّى بَلَغَنَا نَبَأُ مَوْتِهِ فِي إِحْدَى الْأَيَّامِ مِنْ سَنَةِ ثَلَاثَةٍ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ وَأَلْفٍ ، فَأَفْزَعَنَا الْخَبَرُ ، وَبَكَى مَن بَكَى لِهَوْلِهِ ، وَحَزِنَّا

لِمَوْتِهِ ، لِأَنَّ الْهِرَّ مَبْنُوش قَدْ فَارَقَنَا فِرَاقَ الأَخِ الأَصْغَرِ لإِخْوَتِهِ وَسَمِعْتُ أَخِي يَقُولُ أَنَّ مَوْتَهُ كَانَ بِسَبَبِ كَلْبٍ شَرِسٍ [1] هَاجَمَهُ وَعَضَّهُ ، فَقَضَى عَلَيْهِ .

وَافْتَقَدْنَا هِرًّا طَيِّباً كَرِيماً ، جَعَلْنَاهُ فِي مَرْتَبَةِ الأَخِ الأَصْغَرِ ، وَكَانَ عُمْرُهُ مِنْ وِلَادَتِهِ إِلَى وَفَاتِهِ خَمْسَةَ أَوْ سِتَّةَ أَعْوَامٍ ، وَقَدْ قُلْتُ أَرْثِيهِ [2] أَبْيَاتاً كَثِيرَةً حَزِينَةً ، وَحَدَثَتْ لِي مَعَهُ طَرَائِفُ [3] صِرْتُ الآنَ أَرْوِيهَا للذِّكْرَى ، وَهَا قَدْ مَرَّ عَلَى رَحِيلِهِ زَمَانٌ وَمَا زِلْتُ أَذْكُرُه كَأَنَّهُ مَاتَ الْبَارِحَةَ ، فَمَا زَادَنِي بُعْدُهُ عَنِّي إِلَّا قُرْباً مِنْ قَلْبِي ، وَمِنْ شِعْرِي الَّذِي رَثَيْتُهُ بِهِ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ :

وَ**مَبْنُوشُ** هِرٌّ قَلِيلُ السُّؤَالِ * كَثِيرُ الطُّرُوقِ جَمِيلُ الْوِصَالِ[4]

أَهْدَتْهُ لِي جَدَّتِي مُذْ أَتَيْنَا * فَرَبَّيْتُهُ كَالطِّفْلِ المُذَالِ[5]

وَكُنْتُ لَهُ كَالأَبِ الْمُهْدِي حُبًّا * وَكَانَ مُطِيعاً صَافِي الخِلَالِ[6]

---

(1) شَرِسٌ : سيّءٌ وقاسٍ . (2) أَرثيهِ : من الرثَاء وهو بكاءُ الميتِ شِعْراً . (3) أي نَوادرُ وقصصٌ .

(4) الطّروقُ : الزيارة ليلاً ، الوصال : الألفةُ . (5) المُذالُ: اسمُ مفعولٍ من فعلِ أذالَ، يعني لهُ ذيلٌ .

(6) الخِلالُ : أي الخصالُ .



إِذَا نَـــادَاهُ الْغَـــرِيـــبُ يَـوْمــاً * يُلَبِّي نِـدَاءَ الْـوَرَى لَا يُبَـالِي[1]

وَإِنْ مَاتَ هِـرِّي فَمَا مَاتَ حَقًّـا * وَأَخْـلَاقُـهُ تَسْمُـو كَالْجِبَـالِ[2]

وَيَوْمَ سِرْنَـا مَعاً يَـا صَدِيـقِي * نَرُومُ الْعُلَا مَطْمَحاً كَالنِّصَالِ[3]

وَدَاعاً يَا خَـيْـرَ هِـــرٍّ وَدَاعـــاً * فَـمَــا لَكَ أَلَّا تَـــرُدَّ سُـؤَالِـــي ؟

وَأَذْكُـرُ هِـرِّي فَـيَـزْدادُ حُـزْنِي * عَسَى أَنْ أَلْقَاهُ يَوْمَ السُّـؤَالِ[4]

وَهِـــرٍّ كَـرِيـمٍ لَا خُـبْـثَ فِـيـهِ * إِذَا زُرْتَـهُ خِلْـتَـهُ كَالـرِّجَــالِ[5]

وَتِلْكَ العُـهُـودُ عَسَاهَــا تَعُـودُ * وَإِحْـيَـاؤُهَــا بَعِيـدُ المَـنَـالِ[6]

وَهِـرِّي كَـــانَ هِـــرًّا جَـمِـيـلاً * وَأَخْـلَاقُـــهُ بِـنْــتُ الـنَّـوَالِ[7]

وَفَاضَتْ دُمُوعِي مِنَ الحُزْنِ تَتْرَى * عَلَى فَقْدِ ذَاكَ الْغَرِيبِ المِثَالِ[8]

---

(1) الورى : أي الناس . (2) تسمُو : أي ترقَى . (3) نرومُ : أي نطلبُ . والعُلا : معَـالي الأمور . والنصالُ : واحدها نصل ، وهي حديـدةُ الرمح والسهم والسكين . (4) يَوْمُ السُّؤال : مِن أسماء يوم القيامة . (5) الخُبْثُ : المكر والخديعةُ . خِلتَـهُ : أي حسِبْتَـهُ . (6) العُـهُـودُ : الأزمَـانُ . المَـنَـالُ : هو مـا يُطلَبُ تحقيقُهُ . (7) النّـــوَالُ : العطـاءُ . (8) تَـتْـرَى : أي تتابـعُ .

هِيَ الدُّنْيَا لَا تَسُرُّ فَتَبْقَى * وَإِحْسَانُهَا سَرِيعُ الزَّوَالِ

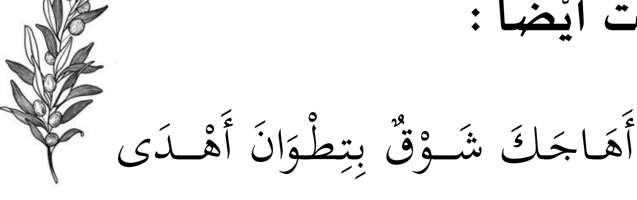
وَتِلْكَ الجُسُومُ تَمُوتُ وَتَبْقَى * أَخْلَاقُ الْفَتَى مِثْلَ الْجِبَالِ

وَفِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعُمِائَةٍ وَأَلْفٍ ، كُنْتُ رَحَلْتُ إِلَى تِطْوَانَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ ، وَفَارَقْتُ أَبَوَايَ وَإِخْوَتِي ، وَأَصْحَابِي ، وَبَيْتِي، وَتَذَكَّرْتُ هِرِّي وَأَنَا فِي تِطْوَانَ غَرِيبٌ، وَقَدْ اشْتَدَّ بِيَ الشَّوْقُ إِلَيْهِ ، فَقُلْتُ :

مَاتَ هِرِّي فِي الصِّبَا حَتَّى لَقَدْ * هَاجَ أَحْزَانِي، فَلَا أَوْدَى دَرِمْ(1)

أَسْكَنَ اللهُ هِرِّي جَنَّةً * أَسْعَدَتْ كُلَّ هِرٍّ أَوْ رَخَمْ(2)

وَقُلْتُ أَيْضاً :



أَهَاجَكَ شَوْقٌ بِتِطْوَانَ أَهْدَى

سَلَاماً إِلَى خَيْرِ هِرٍّ كَرِيمِ (3)

---

(1) الصِّبا : الصغر ، أي مات في صِغَر سنهِ وفي حداثتِه . هَاجَ أحزاني : أي أثارها بموته . لا أودى درم : هذا مَثَلٌ يضربُ لمَن لم يُؤْخَذْ بثأرهِ . (2) الرخَمُ : الطائرُ المعروفُ . (3) أهاجَكَ : أي أثارك .



صَبَا مَا صَبَا فِي الْحَيَاةِ سَعِيداً * فَكَانَ الرَّحِيلُ قَضَاءَ الْعَلِيمِ[1]

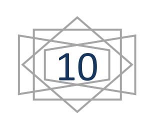
وَكُنْتُ أُسَافِرُ إِلَى مَدْغَرَةَ عَائِداً، وَكُلَّمَا وَصَلْتُ إِلَّا وَارْتَاحَتْ نَفْسِي وَزَالَتِ الْوَحْشَةُ [2]، وَانْجَلَتْ تِلْكَ الْغُرْبَةُ عَنِ الْقَلْبِ ، وَشَعَرْتُ بِالْأُنْسِ وَالسُّرُورِ بِلِقَاءِ الْأَبَوَيْنِ وَالْإِخْوَةِ، وَهَذَا مِنْ مَنِّهِ وَكَرَمِهِ عَلَيَّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَتَذَكَّرْتُ هِرِّي فَقُلْتُ :

وَيَوْمَ سَمَا فِي الْفَضَا صَوْتُ هِرِّي * وَخِلْتُكَ هِرِّي بِرَوْضِ الظِّلَالِ[3]

وَدَاعاً يَا خَيْرَ هِرٍّ وَدَاعاً * عَسَى أَنْ أَرَاكَ بِدَارِ الْجَلَالِ[4]

وَيَرْجِعُ نَسَبُ الْهِرِّ مَبْنُوش إِلَى مَدْغَرَة، لِأَنَّهُ بِهَا وُلِدَ، وَقَدْ أَحْزَنَنِي فِرَاقُهُ لِأَبَوَيْهِ وَإِخْوَتِهِ فِي الْبَادِيَةِ ، وَنَشَأَ فِي بَيْتِنَا وَصِرْنَا لَهُ كَالْأَهْلِ فَعَوَّضَهُ اللهُ بِنَا ، وَأَحَاطَهُ سُبْحَانَهُ بِرَحْمَتِهِ الْوَاسِعَةِ ، وَلَعَلَّهُ نَسِيَ أَيَّامَ حَدَاثَتِهِ[5] فِي الْبَادِيَةِ، وَأَحْسَسْتُ أَنَّهُ قَدْ رَضِيَ بِالْعَيْشِ مَعَنَا وَالْمُقَامِ فِي بَيْتِنَا . وَلَمْ تُفَارِقْهُ طِيبَةُ أَخْلَاقِ أَهْلِ الْبَادِيَةِ وَكَرَمُهُمْ

(1) صَبَا : أي مال إلى اللهو . (2) الوحشةُ : أي الانقطاعُ وبُعْدُ القلب عن المَوَدَّاتِ . (3) خِلْتُكَ : أي حَسِبْتُكَ . الرَّوضُ : أو الرياضُ ، هو الأرضُ ذاتُ الخضرةِ ، والبستانُ الحَسنُ . (4) دارُ الجلالِ : يَقصِدُ بها الشاعر الجنة . (5) الحداثةُ : أيامُ الصِّغرِ .



وَرِقَّةُ نَسِيمِهَا الَّتِي أَثَّرَتْ فِي طِبَاعِهِ، فَصَارَتْ رُوحُهُ كَالْمَاءِ نَقَاءً وَصَفَاءً .

وَقَدْ كَبُرَ فِي بَيْتِنَا، وَأَعْجَبَهُ كَرَمُ أَهْلِهِ، فَشَبَّ [1] كَرِيماً، وَلَمْ يَعُدْ إِلَى الْبَادِيَةِ ، رُبَّمَا لِأَنَّهُ نَسِيَ أَيَّامَهُ الْأُولَى هُنَاكَ ، أَوْ لِأَنَّهُ خَافَ أَنْ يَذْهَبَ فَيَضِلَّ الطَّرِيقَ ، فَيَكُونَ كَالْقَابِضِ عَلَى الرِّيحِ [2]، وَأَظُنُّ أَنَّهُ قَدْ ارْتَاحَ إِلَيْنَا .

وكُنَّا إِذَا سَافَرْنَا إِلَى الْبَادِيَةِ جَمِيعاً تَرَكْنَا الْهِرَّ يَلْعَبُ مَعَ أَصْدِقَائِهِ فِي الْحَيِّ ، يَدْخُلُ الْبَيْتَ مَتَى شَاءَ ، وَإِذَا أَحَسَّ بِالْجُوعِ قَفَزَ إِلى النَّافِذَةِ وَدَخَلَ الْبَيْتَ ، فَوَجَدَ آنِيَةَ طَعَامٍ كَانَ أَبِي قَدْ أَعَدَّهَا لَهُ ، فَيَأْكُلُ مِنْهَا .

وَكَانَ أَبِي – رَحِمَهُ اللهُ – يَمْلَأُ قَدَحاً [3] بِالْمَاءِ وَيَضَعُهُ خَارِجَ الْبَيْتِ لِتَشْرَبَ مِنْهُ الْهِرَرَةُ ، حَتَّى إِذَا نَفَدَ مَاؤُهُ أَعَادَ مَلْأَهُ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .



---

(1) المقصود أنه قد اعتادَ على الكَرم ، وهذا مأخوذٌ من قولهم : مَنْ شَبَّ على شيء شابَ عليه .

(2) أي كالذي لم ينلْ شيئا . (3) القَدَحُ : إناء يشرب به الماء .

وَعَسَى أَنْ يَكُونَ بَيْنَ هَذِهِ الْهِرَرَةِ – الَّتِي أَجِدُهَا بَيْنَ الأَشْجَارِ وَأَمَامَ الْبَيْتِ – ابْنٌ لِلْهِرِّ مَبْنُوش أَوْ حَفِيدٌ، أُرَبِّيهِ وَأُكْرِمُهُ جَزَاءً عَلَى صِدْقِ وَوَفَاءِ الْهِرِّ مَبْنُوش الْمَدْغَرِيّ، فَهِيَ تَقْتَرِبُ عِنْدَمَا أَفْتَحُ الْبَابَ ، وَلَا تَجِدُهَا مُجْتَمِعَةً إِلَّا أَمَامَ الْبُيُوتِ الَّتِي تَعَوَّدَ أَهْلُهَا إِخْرَاجَ الطَّعَامِ لَهَا .



وَفِي كُلِّ مَرَّةٍ نَزُورُ الْبَادِيَةَ ، نَسْأَلُ الْجَدَّةَ – حَفِظَهَا اللهُ – أَنْ تُهْدِينَا هِرًّا آخَرَ نُرَبِّيه ، فَكَانَتْ تَرُدُّ بِأَنَّ الْهِرَّةَ لَمْ تَلِدْ ، أَوْ أَنَّهَا وَلَدَتْ فَكَبُرَ أَبْنَاؤُهَا ، وَتَفَرَّقُوا شَذَرَ مَذَرَ [1] ، وَلَمْ نَعْرِفْ أَيَّ هِرَّةٍ تَقْصِدُ ، أَكَانَتْ تِلْكَ الْهِرَّةُ وَالِدَةَ الْهِرِّ مَبْنُوش ؟!

---

(1) شذر مذر : أي تشتتوا، وذهبوا مَذاهبَ شتَّى .

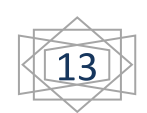
وَكُنْتُ أُحِبُّ هِرَرَةَ الْبَادِيَةِ كَثِيراً ، لِأَنَّهَا جَمِيلَةٌ وَنَظِيفَةٌ ، وَهِيَ سَرِيعَةُ الإِلْفِ لِمَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهَا وَأَكْرَمَهَا ، وَهِرَرَةُ الْمَدِينَةِ شَدِيدَةُ الاِحْتِرَاسِ[1] وَالنُّفُورِ مِنَ النَّاسِ، لِأَنَّهُمْ قَلَّمَا يُحْسِنُونَ إِلَيْهَا، وَقَدْ لَا يَكْتَرِثُونَ[2] لِلْهِرَّةِ الَّتِي تَلِدُ ، أَوْ لِلْحَيَوَانِ الْجَائِعِ وَالْمَرِيضِ أَوِ الْمَكْسُورِ شَغَلَتْهُمُ الْدُّنْيَا عَنِ الْجُودِ بِبَعْضِ الرَّحْمَةِ.

وَالْهِرَرَةُ لا تَنْسَى وُدَّ مَنْ أَطْعَمَهَا أَوْ سَقَاهَا، أَوْ مَنْ بَنَى لَهَا مَنْزِلاً صَغِيراً يَقِيهَا حَرَّ الشَّمْسِ فِي الصَّيْفِ، وَهُطُولَ الْمَطَرِ فِي الشِّتَاءِ وَظُلْمَ النَّاسِ ، وَعَبَثَ الصِّبْيَانِ بِصِغَارِهَا ، وَهُجُومَ الْكِلَابِ .

وَكَانَ فِي الْحَيِّ فَتىً ظَرِيفٌ[3] اِسْمُهُ يُونُس، قَدِ اتَّخَذَ مِنَ الْهِرَرَةِ بَعْضَ أَصْدِقَائِهِ ، أَخْرُجُ مِنَ الْبَيْتِ فَأَجِدُهُ يَتْبَعُهَا ، وَأَلْقَاهُ وَهُوَ مُنْشَغِلٌ بِإِطْعَامِهَا، فَيَقْتَرِبُ مِنْهَا بِبُطْءٍ كَيْ لَا تَفْزَع ، حَتَّى إِذَا أَمِنَتْ وَذَهَبَ رَوْعُهَا[4]، صَارَ يَمْسَحُ عَلَى رَأْسِ هِرٍّ أَوْ هِرَّةٍ وَلَوْ أَنَّ كُلَّ فَتَى مِثْلَ يُونُس لَكَانَ هُنَاكَ خَيْرٌ كَثِيرٌ .

---

(1) الاحتراسُ : الاحتياطُ . (2) لا يكترثون لها : أي لا يبالون بأمرها . (3) ظريف : حسن الوجه واللسان . (4) الروع : الفزعُ .



وَحِكَايَةُ الْهِرِّ مَيْنُوش المدْغَرِيّ هِيَ غَيْرُ حِكَايَةِ الْهِرِّ مَيْنُوش الْفَاسِيّ الَّذِي كَانَ أَصَابَهُ مَرَضٌ فَأَخَذَهُ أَهْلُهُ إِلَى الْمَشْفَى سَنَةَ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعُمِائَةٍ وَأَلْفٍ ، وَكَانَ عُمْرُهُ حِينَهَا أَرْبَعَ سَنَوَاتٍ ، فَسَرَى خَبَرُهُ بَيْنَ النَّاسِ، وَتَعَجَّبَ قَوْمٌ مِنْ عِلَاجِ هِرٍّ ، وَأَخْذِهِ إِلَى المَشْفَى وَالْإِنْفَاقِ عَلَيْهِ ، وَاسْتَكْثَرُوا الرَّحْمَةَ عَلَى حَيَوَانٍ لَا يَضُرُّهُمْ فَقْدُهُ وَأَنْسَاهُمُ الشَّيْطَانُ - لَعَنَهُ اللهُ - أَنَّ هَذَا الْعَمَلَ مِمَّا يُتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللهِ ، وَهَؤُلَاءِ الْقَوْمُ ذَوُو قُلُوبٍ قَاسِيَةٍ كَالْحِجَارَةِ ، أَوْ هِيَ أَشَدُّ قَسْوَةً . وَلَوْ سَمِعُوا حِكَايَةَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ الَّذِي نَزَلَ الْبِئْرَ لِيَسْقِيَ كَلْباً ظَامِئاً لَنَسَبُوهُ إِلَى الْجُنُونِ، وَلَوْ عَلِمُوا أَنَّ صَاحِبَهَا قَدْ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ بِصَالِحِ عَمَلِهِ لَأُلْقِمُوا حَجَراً [1]، أَفَلَا يَعْلَمُونَ .

وَكَيْفَ لَا يُشْفِقُ أَهْلُهُ عَلَيْهِ وَلَا يُحْزِنُهُمْ مَا أَصَابَهُ ، وَقَدْ عَاشَ مَعَهُمْ أَيَّاماً وَشُهُوراً بَلْ أَعْوَاماً ، قَاسَمَهُمْ خِلَالَهَا أَفْرَاحَهُمْ وَأَتْرَاحَهُمْ[2] ، وَكَيْفَ لَا تَلِينُ الْقُلُوبُ لِهِرٍّ أَصْبَحَ كَالِابْنِ الْأَصْغَرِ ،وَلَوْ اسْتَطَاعُوا أَنْ يَفْعَلُوا شَيْئاً مِنْ أَجْلِهِ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ لَفَعَلُوهُ .

(وكانَ الفراغ من كتابة هذه الحِكَاية يَومَ الأحَدِ الخامسِ والعشرينَ مِن شهرِ جمادى الآخرةِ عامَ أربعينَ وأربعمائة وألف بسِجلماسّةَ) .

---

(1) أي : لأُسكِتُوا وأُفحِمُوا عن الردّ .

(2) الأتراحُ : الأحزانُ .



وَيَرْجِعُ نَسَبُ الْمِرْمَيْنُوشْ إِلَى مَدْغَرَة، لِأَنَّهُ بِهَا وُلِدَ، وَقَدْ أَحْزَنَنِي فِرَاقُهُ لِأَبَوَيْهِ وَإِخْوَتِهِ فِي الْبَادِيَةِ، وَنَشَأَ فِي بَيْتِنَا وَصِرْنَا لَهُ كَالْأَهْلِ، فَعَوَّضَهُ اللهُ بِنَا، وَأَحَاطَهُ سُبْحَانَهُ بِرَحْمَتِهِ الْوَاسِعَة وَلَعَلَّهُ نَسِيَ أَيَّامَ حَدَاثَتِهِ فِي الْبَادِيَة وَأَحْسَسْتُ أَنَّهُ قَدْ رَضِيَ بِالْعَيْشِ مَعَنَا، وَالْمُقَامِ فِي بَيْتِنَا، وَلَمْ تُفَارِقْهُ طِيبَةُ أَخْلَاقِ أَهْلِ الْبَادِيَةِ وَكَرَمُهُمْ، وَرِقَّةُ نَسِيمِهَا الَّتِي أَثَّرَتْ فِي طِبَاعِهِ، فَصَارَتْ رُوحُهُ كَالْمَاءِ نَقَاءً وَصَفَاءً.

